

اللجنة العالمية المشتركة للحوار اللاهوتي
بين الكنيسة الكاثوليكية والكنائس الأرثوذكسية الشرقية

الأسرار في حياة الكنيسة

روما، ٢٣ حزيران ٢٠٢٢

الأسرار في حياة الكنيسة

١- تمكّنت اللّجنة العالميّة المشتركة للحوار اللاهوتيّ بين الكنيسة الكاثوليكيّة والكنائس الأرثوذكسيّة الشّرقية حتّى الآن من وضع الأسس المهمّة في مسيرتها للبحث عن الوحدة بين الكنائس. فبعد اجتماع اللّجنة التّحضيرية سنة ٢٠٠٣، باشر الحوار مرحلته الأولى سنة ٢٠٠٤، إذ تطرّق إلى موضوع لاهوت الكنيسة. وفي سنة ٢٠٠٩، صدّقت اللّجنة وثيقتها الأولى بعنوان، **طبيعة الكنيسة ودستورها ورسالتها**، وتمكّنت من تثبيت «قاعدة واسعة من الاتّفاق في الشّؤون الأساسيّة للاهوت الكنيسة بين الكنيسة الكاثوليكيّة والكنائس الأرثوذكسيّة الشّرقية». وهكذا بدأت مرحلة جديدة سنة ٢٠١٠، أفضت إلى وثيقة ثانية جديدة بعنوان **ممارسة الشّركة في حياة الكنيسة الأولى وتأثيرها في البحث عن الشّركة اليوم**، والتي اكتملت سنة ٢٠١٥. إنّ هذه المرحلة، كان من الممكن تثبيت عدد من العلاقات القائمة بين الكنائس خلال القرون الأولى استمرّت حتّى أيّامنا وأعيد إحيائها حديثاً، على الرّغم من الانقسامات.

٢- في المرحلة الثّالثة من الحوار، بدأت اللّجنة دراسة العقيدة والممارسة فيما يتعلّق بالأسرار بتفصيل أكثر. واقتصرت المهمّة على تحديد نقاط التّوافق والتّباين الجوهرية في فهمنا للأسرار. وقد كرّست اللّجنة عدّة اجتماعات للتعريف بمصطلح «سرّ» ولدراسة الأسرار السّبعة المعترف بها بوجه عامّ: المعموديّة، التّثبيت، الإفخارستيا، التّوبة/الاعتراف، مسحة المرضى، الزّواج والكهنوت المقدّس. كما أخذت اللّجنة

علمًا، في إطار أعمالها، بخاصة التفاهات الرّاعويّة، القائمة بين الكنيسة الكاثوليكيّة والكنائس الشّرقية فيما يتعلّق بتقاسم الأسرار في ظروف خاصّة.

أولاً: التّحديد اللاهوتيّ للأسرار ومعناه

(أ) المسيح، سرّ أساسيّ لعمل الله في العالم

٣- سرّ مخطّطٍ خلاص الله، أي تصميم الله على دعوة البشريّة والخليقة كلّها إلى الحوار معه كي يمنح نعمه للبشر، يتجلّى وينتشر في تاريخ الإنسانية من خلال كلمات مسموعة وإشارات ملموسة تستطيع الكائنات الإنسانية أن تدركها. وهكذا يتحوّل التاريخ إلى تاريخ خلاص بلغ ذروته مع يسوع المسيح، الذي بحياته كلّها، بأقواله وأفعاله، وبخاصّة بواسطة السّرّ الفصحّي لموته وقيامته، هو ملء الوحي والوسيط لسرّ الله. المسيح بشخصه هو السّرّ الإلهي، والسّرّ الأساسيّ لعمل الله في العالم. وما مهمّة الكنيسة سوى متابعة رسالة المسيح حتّى مجيئه الثاني.

(ب) مصطلحات

٤- تُقدّم الكنيسة ثمار الوحي وعمل فداء المسيح إلى المؤمنين من خلال علاماتٍ وأعمالٍ مرثية تُنقل وتُعبّر عن نعمة غير مرثية تسمح لهم «بالاشتراك في الطّبيعة الإلهية» (٢ بط ٤، ١). هذه العلامات والأفعال المرثية تُدعى أسرارًا تفوق الإدراك (*mysteries*). تفهّم التقاليد الشّرقية والكاثوليكية اللاتينية «السّرّ الفائق الإدراك»

على أنه موضوع أو حَدَث مرئيّ أو ملموس يدلّ على حقيقة عليا، تقود إلى تقديس المؤمنين وخلصهم وإلى تحوّل الخليقة بأسرها.

٥- لقد تُرجم مصطلح (*mysterion*) اليونانيّ بِ(*sacramentum*) في التّجمات اللّاتينيّة الأولى للكتاب المقدّس واستُخدم بالتّوازن مع الحرف اللّاتينيّ (*mysterium*). وفي القرون الوسطى، استُخدمت كلمة سرّ بصورة خاصّة في بعض الأعمال اللّيتورجيّة. إنّ المصطلح السّريانيّ (*rozo/raza*)، والأرمنيّ (*khorhourd*)، والأثيوبيّ (*mestir*)، والعربيّ سرّ، والقبطيّ واليونانيّ (*mysterion*)، إنّما يُحافظ على المعنى الواسع لأسرار الله الثّالوث والتّجسّد والفداء، إضافة إلى الأعمال اللّيتورجيّة التي بواسطتها تُمنح بركات الله الخلاصيّة في الكنيسة وبها.

(ج) مصدر الأسرار في التّقاليد البيبليّة والرّسوليّة

٦- وعلى مرّ القرون، وعى آباء الكنيسة ولاهوتيّو جميع الكنائس المعنى اللاهوتيّ سرّ عمل الله الفعّال في الطّقوس المقدّسة للكنيسة. واعتُبرت أعمال يسوع المسيح - شفاء المرضى، طرُد الشّياطين، قيامة الأموات - وأقواله الخلاصيّة، أعمالاً فعّالة في الاحتفالات اللّيتورجيّة للكنيسة. ومن ثمّ، اكتسبت حياة الكنيسة بمُجملها بعداً سرّيّاً. وفي إطار تدبير الخلاص هذا، ميّزت الكنيسة بعض الأعمال والاحتفالات الخاصّة، إذ اعتبرتها جوهرية لتقديس المؤمن أو لتأليهه، ولبناء جسد المسيح، وقد دُعيت أسراراً في المعنى الخاصّ للمصطلح. وفي الوقت عينه، إنّ المصطلحات (*mysterion / sacramentum / rozo / raza / khorhourd / mestir / sir*)

كما عُرِفَتْ واستُخدِمت في عصر آباء الكنيسة وفي وقت لاحق للدلالة على الإشارات المرئية للنعمة الداخليّة والروحيّة المُعطاة لنا، لم تقتصر على عدّة مُحدّد.

(د) مَنْحُ الأسرار

٧- يشترك المؤمنون المعمّدون في الاحتفال بالأسرار، وبعضهم رُسموا بحسب الأصول، وسمح لهم بأن يمنحوا الأسرار. يفترض القبول الصحيح للسّرّ أن يُعمّد طالب المعموديّة بطريقة قانونيّة باسم الآب والابن والروح القدس. بوسع الأسقف في كنائسنا أن يمنح جميع الأسرار، كما يستطيع الكهنة أن يمنحوا جميع الأسرار، ما خلا الكهنوت. وفي الكنيسة الكاثوليكيّة، يستطيع الشمامسة أن يمنحوا المعموديّة وأن يحتفلوا بالزواج. وتُعدّ الأسرار الممنوحة بحسب طقوس كلّ كنيسة أسرارًا قانونيّة لهذه الكنيسة. وبحسب التّقليد القديم للكنيسة الموحّدة، لا ترتبط قانونيّة السّرّ بحالة رجل الدّين الأخلاقيّة. فقد حدّدت الكنيسة الكاثوليكيّة والكنائس الأرثوذكسيّة، في تعابير متشابهة، ولكن مغايرة بعض الشّيء، الشّكل والمادّة الصّوريتين من أجل قانونيّة كلّ سرّ.

ثانيًا: الأسرار السّبعة

(أ) ظهور مفهوم الأسرار السّبعة وانتشارها

٨- وفي مرحلة لاحقة، حدّد التّقليد الغربيّ سبعة طقوس ليجريّة على أنّها أسرار في المعنى الخاصّ، في حين دُعيت بركات أخرى شبه أسرار. تعترف الكنائس

الأرثوذكسيّة الشّرقيّة بالأسرار السبعة هذه، بيد أنّ هناك طقوسًا ليجريّة أخرى قد دُعيت أسرارًا أيضًا.

٩- تقتنع جميع التّقاليّد بأنّ الأسرار السبعة: المعموديّة، سرّ التّثبيت، الإفخارستيّا، التّوبة/الاعتراف، مسحة المرضى، الزّواج والكهنوت المقدّس، قد أنشأها المسيح، وثبّتها الرّسل، ونُقلت بواسطة آباء الكنيسة، واحتُفل بها بأمانة في الكنيسة مع مرور القرون. وتُعَدّ الإفخارستيّا، من بين هذه الأسرار، سرّ الأسرار، لأنّها سرّ فصح المسيح، وتوزيع رسالته ومصدر كلّ خلاص. إنّ الرّقم سبعة لا يُحدّد العدد، بل يصف ملء نعمة الله وكمال عمله الخلاصيّ. الرّقم سبعة هو أحد الأرقام الأكثر معنى في الكتاب المقدّس، ومُحدّد على أنّه اتّحاد الله مع خليقته، ويعني الرّقم ثلاثة الثّالوث الأقدس، والرّقم أربعة الخلق كلّهُ.

١٠- تتفق التّقاليّد على اعتبار الأسرار وسائل تُدلّ على عمل الله الخلاصيّ واختباره في الكنيسة وبواسطتها. يستند مصدر فعاليّتها وضمّانها إلى الفناعة بأنّ المسيح نفسه يعمل في الأسرار من خلال استدعاء (*epiclesis*) الرّوح القدس. وتتضمّن حياة الأسرار دومًا طابعًا ثالوثيًّا، إذ تُقدّم صلاة شكر وعبادة وتمجيد لله الأب، المصدر النّهائيّ للتّدبير الإلهيّ للخلاص وإنجازه بواسطة ابنه يسوع المسيح في الرّوح القدس. وبالطّريقة عينها، وباستخدام عناصر الخلق، كالماء والرّيت والخبز والخمر، يتحوّل الكون كلّهُ إلى جزء لا يتجزّأ من هذا التّدبير، «فالخليقة تنتظر بفارغ الصّبر تجلّي أبناء الله» (رو ٨، ١٩).

ب) أسرار التنشئة

١. المعمودية

(تطوّر في التاريخ)

١١- تتفق كنائسنا على أنّ سرّ المعمودية هو أساس الحياة المسيحية وسائر الأسرار ومدخلها. لهذا السّرّ سوابقه في معمودية التوبة التي بشر بها يوحنا المعمدان، حيث اكتسب معنىً جديدًا بموت المسيح وقيامته وبمجيء الروح القدس، ويُمنح بالطاعة لوصية المسيح بأن يذهبوا ليُعمّدوا الأمم (راجع: متى ٢٨، ١٩؛ مرقس ١٦، ١٦). وتعدّ المعمودية السّرّ الأكثر شيوعًا في ممارسة المسيحيين الأوائل. ذلك أنّ المعمودية هي في قلب لاهوت القديس بولس للانخراط في جسد المسيح من خلال الاشتراك في موته وقيامته: «إنّما اعتمدنا في موته فدُفنا معه في موته بالمعمودية كما أقيم المسيح من بين الأموات بمجد الآب لنحيا أيضًا حياةً جديدة» (رو ٤، ٦)؛ «فإنّنا اعتمدنا جميعًا في روح واحد لنكون جسدًا واحدًا، أيهودًا كنّا أم يونانيين، عبيدًا أم أحرارًا، وشربنا من روح واحد» (١ قو ١٢، ١٣؛ راجع: غلا ٣ ٢٦-٢٨).

١٢- ومن وجهة نظر تاريخية، كان يُحتفل بالمعمودية إبان الليلة الكبرى لعيد القيامة، وكانت أيضًا مرتبطة ارتباطًا وثيقًا بالميراث المقدس وتناول الإفخارستيا. وقد حافظت التقاليد الأرثوذكسية الشرقية والكاثوليكية الشرقية على الرّابط الوثيق بين هذه الأسرار الثلاثة، بحيث أنّ الطفل المعمّد حديثًا يُمسح مباشرة بالميراث المقدس ويتناول الإفخارستيا المقدسة. هذه العناصر الثلاثة للتنشئة في الكنيسة اللاتينية قد أضحت محطات مميّزة للأسرار في مراحل الحياة المسيحية، ولو أنّ الأسرار الثلاثة تُعطى في الممارسة الحديثة للبالغين الذين يحصلون على المعمودية إبان الليتارجية الواحدة.

(الممارسة الحالية في الكنائس المختلفة)

١٣- باسم الثالوث الأقدس (راجع: متى ٢٨، ١٩) ويرافقها الميرون وصلوات طرد الشياطين ورَفْض الشَّيْطَان وإعلان الإيمان وارتداء الثَّياب الخاصَّة. وفي الكنائس الأرثوذكسيَّة الشرقيَّة، ولا سيَّما في الكنائس الكاثوليكيَّة الشرقيَّة، تُمنح المعموديَّة بتغطيس المرشَّح ثلاث مرَّات في الماء المبارك. وفي الكنيسة الكاثوليكيَّة اللاتينيَّة، يُمكن مُنح المعموديَّة إمَّا من خلال التَّغطيس ثلاث مرَّات، وإمَّا من خلال سَكْب الماء على الرُّأس ثلاث مرَّات. ومع أنَّه يُمكن الحصول على المعموديَّة في أيِّ عُمر، إلَّا أنَّنا ننبِّع جميعًا ممارسة المسيحيِّين الأوائل الَّتِي تلجأ إلى تعميد أطفال الأُسَر المسيحيَّة في عُمر الصَّغر.

١٤- تُمنح المعموديَّة عادةً، في الكنائس كلِّها، بواسطة أسقف أو كاهن. وفي الكنيسة الكاثوليكيَّة يستطيع الشَّمامسة أن يُعمِّدوا، بيد أنَّهم لا يستطيعون أن يُعطوا سرَّ التَّثبيت *confirmation* (المصطلح اللاتينيِّ لمصطلح *chrismation*). وفي جميع الكنائس، يستطيع كلُّ مؤمن مسيحيٍّ أن يُعمِّد في حالة اضطراريَّة، بينما يُعطى الميرون والإفخارستيَّا في وقت لاحق بواسطة كاهن إذا بقي المُعمِّد الجديد على قيد الحياة. وفي الكنيسة الكاثوليكيَّة اللاتينيَّة يستطيع كلُّ شخص أن يُعمِّد في الحالة الاضطراريَّة.

١٥- حافظت جميع كنائسنا على ممارسة وجود عرَّابين أو عرَّابات لمن سيتعمَّدون. وتسمح الكنيسة الكاثوليكيَّة لمسيحيِّ الكنائس الأرثوذكسيَّة الشرقيَّة بأن يكونوا عرَّابين لمن هم مُعمِّدون، شريطة أن يكون هناك عرَّاب كاثوليكيِّ. لا تسمح الكنائس الشرقيَّة كلِّها للكاثوليك بأن يكونوا عرَّابين أو عرَّابات.

(المسائل المتبقية للنقاش)

١٦- ومع مرور الزمن، وبحسب الظروف، اتخذت الكنائس الكاثوليكية والأرثوذكسية مواقف مختلفة في اعترافها بالمعمودية التي مُنحت في كنائس أخرى. إنّ الاعتراف بأسرار الكنائس الأخرى، في جميع الكنائس، مرتبط بالوحدة في الإيمان. وتختلف الكنائس في مفهومها للعلاقة الخاصة بالمعمودية بهذه الوحدة. تعترف الكنيسة الكاثوليكية بقانونية جميع العمادات الأرثوذكسية الشرقية، وتعترف معظم الكنائس الأرثوذكسية الشرقية بقانونية العمادات الكاثوليكية. وفي بعض الظروف، تُمارس الكنيسة القبطية الأرثوذكسية المعمودية من جديد للكاثوليك. إنّ الاستمرار في الاعتراف المتبادل لهذا السرّ الأساسي هو هدف مهمّ لحوارنا، كي نتمكن من الاعتراف بـ«رّب واحد وإيمان واحد ومعمودية واحدة» (أفس ٤،٥).

٢. الميرون

(التطوّر في التاريخ)

١٧- تُعتبر جميع كنائسنا أنّ المسحة بالميرون المقدّس جزء جوهريّ من التنشئة المسيحية. وتُعدّ هذه المسحة ختمًا أو تكملة لطقس المعمودية الذي يمنح الروح القدس للمعمّد الجديد. يُمزج الزيت بالمرّ أو بالبلسم، وفي التقليديّن الأرثوذكسيّ الشرقيّ والكاثوليكيّ، هناك مكونات أخرى من العطور. وبحسب التقليد، يُبارك الأسقف الميرون المقدّس، وفي بعض الكنائس من قبل بطريك أو كاثوليكوس أو رئيس أساقفة، إبّان ليترجية خاصة أو عدّة ليتورجيات. وفي الكنيسة اللاتينية، تتمّ مباركة الزيت هذه كلّ عام في أثناء افخارستيا خاصة خلال أسبوع الآلام. أمّا في الكنائس الأخرى، فقد تتمّ مباركة الميرون في فترات أقلّ تواترًا. يُستخدم الميرون

المقدّس فقط للدّهْن بعد المعموديّة، ممّا يميّزه عن الرّيبوت المباركة الأخرى المستخدمة للشّفاء أو للتّنقية. إنّه دَهْن الكهنة والملوك كما تصفها الكتب المقدّسة (أنظرُ خروج ٣٠: ٢٢-٣٣؛ ١ صموئيل ١٠، ١). ومن خلال الدّهْن بالميرون المقدّس، يُصبح المُعمّدون حديثًا جديرين بالانضمام إلى «دُرّيّة مختارة وجماعة الملك الكهنوتيّة وأمة مقدّسة وشعب اقتناه الله» (١ بط. ٢، ٩)، وأن ينادوا الله: «أبّا، يا أبِت» (رو. ٨، ١٥؛ غلا ٤: ٥-٧).

(الممارسة الحالية للكنائس المختلفة)

١٨- يُمارس الأرثوذكس الشرقيّون والكاثوليك الشرقيّون إعطاء الميرون المقدّس مباشرة بعد المعموديّة، ومن ثمّ يمنحون بوجه عامّ القربان المقدّس. وفي الكنيسة الكاثوليكيّة، بُعيد تطوّر تاريخيّ معقّد، يتلقّى مباشرةً جميع المُعمّدين حديثًا مسحة الميرون المقدّس، التي تُعدّ مسحة المسيح كنيّ وكاهن وملك. أمّا بالنّسبة إلى المُعمّدين البالغين في الكنيسة اللّاتينيّة، فتُعدّ المسحة أيضًا ختمًا للرّوح القدس، على غرار تقاليد الميرون الشرقيّة. وبالنّسبة إلى الأطفال والرّضع المُعمّدين، يُمنح ختم الرّوح القدس في وقت لاحق في سرّ التّثبيت، إذ يُمنحه أسقف خلال طقس يتضمّن وضع الأيدي ودَهْن الميرون المقدّس. وتؤكد الإصلاحات الليتurgiّة المعاصرة للطّقس اللّاتينيّ على كمال المعموديّة والميرون والمناولة المقدّسة أنّها طقوس مُلائمة للتّنشئة المسيحيّة، ولو أنّ هناك استمراريّة في التّمييز بين الميرون/التّثبيت والمناولة المقدّسة عند الأطفال المُعمّدين. وتعترف الكنيسة الكاثوليكيّة بقانونيّة الميرون الذي تمنحه الكنائس الشرقيّة. وتجدر الإشارة إلى أنّ الكنائس الأرثوذكسيّة الشرقيّة لا تعترف كلّها بالميرون/التّثبيت الكاثوليكيّ بالطريقة عينها.

(المسائل المتبقية للنقاش)

١٩- نوصي بمواصلة النقاشات على المستوى اللاهوتي والكنسي والليتورجي لحلّ مسألة الاعتراف المتبادل بالميرون.

٣. الإفخارستيا

٢٠- تتفق الكنائس على اعتبار الإفخارستيا المقدسة محور الحياة المسيحية. وفي زمن يسوع، كان للتقليد اليهودي فهم عميق للجانب الطقسي للطعام، يُرافقه بركات على الخبز والخمر والأطعمة الأخرى. وتربط الأناجيل الإزائية العشاء الأخير بالفصح اليهودي، الأمر الذي يُوفّر رمزية لاهوتية غنية عن التّضحية والفداء. احتفل تلاميذ يسوع بالعشاء مطيعين وصيته: «اصنعوا هذا لذكري» (لو ٢٢، ١٩؛ ١ كور ١١، ٢٤). وكما يكتب بولس: «فإنكم كلّما أكلتم هذا الخبز وشربتم هذه الكأس، تُعلنون موت الرّب إلى أن يأتي» (بولس ١ قور ١١، ٢٦). وبالمشاركة بعضهم مع بعض في جسد المسيح ودمه ينالون نعمة شركة (*koinōnía*) أكثر عمقًا.

٢١- أضحت بركة سرّ الخبز والخمر سريعًا، لارتباطها في الأصل بالطعام، طقسًا متميزًا. وتكشف القرون الأولى للمسيحية نموذج احتفال يحتوي قراءات من الكتب المقدسة وصلاة شكر طويلة وبركة على الخبز والخمر وتقسيم جسد المسيح ودمه على المشاركين. وقد اشتملت هذه الصلاة، مع مرور الزمن، على رواية تُذكر بأقوال يسوع إبّان العشاء الأخير وعلى دعاء عَلَيّ للروح القدس على الخبز والخمر وعلى المؤمنين المجتمعين. ومع تطوّر الليتورجيا في مناطق مختلفة على مرّ القرون، يظلّ هذا النموذج القديم في قلب كلّ احتفال إفخارستي.

(الممارسة الحالية للكنائس المختلفة)

٢٢- تؤكد كنائسنا بقوة أنّ الخبز والخمر المكرّسين هما جسد المسيح ودمه الحقيقيان. لذا، والحالة هذه، ينبغي التّقرّب من الإفخارستيا بوقار، إذ تتطلّب استعدادًا من جانب المحتفل والمتناولين، وفقًا للنّظام الخاصّ لكلّ كنيسة (راجع: ١ قو ١١: ٢٧-٢٩).

(مسائل راعوية وعملية)

٢٣- تسمح الكنائس الأرثوذكسية الشّرقية بالمشاركة في الإفخارستيا بين مؤمني كنائسهم، شريطة احترام الصّوم والمتطلّبات الأخرى للكنيسة التي ينبغي فيها تناول الإفخارستيا. واستنادًا إلى اتّفاقات راعوية معتمدة، تسمح بعض الكنائس الأرثوذكسية الشّرقية للكاتوليك بتناول القربان والحصول على أسرار أخرى (راجع: الفصول ٥٠-٥٤). وتسمح الكنيسة الكاثوليكية للمسيحيين الأرثوذكس الشّرقين بتناول القربان المقدّس في بعض الظروف، إلّا أنّها تحثّهم على اتّباع نظام كنيستهم.

(المسائل المتبقية للمناقشة)

٢٤- كما هي الحال مع الاعتراف المتبادل بالمعمودية، فإنّ الأمل في الشّركة الإفخارستية الكاملة بين الكنائس الأرثوذكسية الشّرقية والكنيسة الكاثوليكية هو قوّة دافعة في عمل اللّجنة المختلطة. المشاركة الكاملة في حياة الأسرار هي شهادة عميقة للوحدة في المسيح وتعزيزية كبيرة في المناطق التي يكون فيها عدد المسيحيين قليلًا نسبيًا، ولا سيّما عندما يشكّلون جماعة مُضطهدة.

٤. أسرار الشفاء

١. توبة/اعتراف

(التطُّور في الكنيسة)

٢٥- تعتبر الكنائس الأرثوذكسيّة الشّرقيّة والكنيسة الكاثوليكيّة سرّ التّوبة، المعروف أيضًا باسم المصالحة أو الاعتراف، واحدًا من الأسرار السّبعة. تطوّرت التّوبة في هذا السّرّ إبان القرون الأولى من الكنيسة المسيحيّة كفعل غفران عامّ وفرديّ في آنٍ واحد، وكاستعادة للشّركة الكاملة مع الله وجسد المسيح، الكنيسة.

٢٦- وتتفق كنائسنا على أنّ التّوبة قد هُيئت من خلال دعوة يوحنا المعمدان إلى الارتداد (راجع: مر ١، ١٥؛ متى ٣، ٢؛ ٤، ١٧)، وغفران الخطايا بيسوع (لو ٥، ٢٠؛ ٧، ٤٨) وإلى قدرة غفران الخطايا التي منحها المسيح النّاهض من الأموات إلى رسله (راجع: يو ٢٠، ٢٣). ومع مرور الزّمن، اتّخذت هذه الممارسة أشكالًا مختلفة بحسب الأمكنة، إلّا أنّها حافظت على الهدف نفسه: المصالحة مع الله وجسد المسيح، الكنيسة، الذي عُبر عنه بالكامل في المشاركة في الافخارستيّا المقدّسة.

(ممارسة الحاليّة في الكنائس المختلفة)

٢٧- تقتضي الممارسة الحاليّة للتّوبة في كنائسنا أنّ يعترف الذين يشعرون بالندم على خطاياهم على انفراد أو أن يشاركوا في أشكال جماعيّة من صلاة التّوبة، ومن ثمّ يحصلون على المغفرة (الحلّة) من كاهن أو أسقف. قد يتطلّب فعل التّوبة الصّوم والصّدقة أو قراءة مزامير التّوبة قبل المغفرة أو بعدها. ففي حالة التّوبة الجماعيّة، كما تُمارس على سبيل المثال في الكنيسة الرّسوليّة الأرمنيّة، لا بدّ أوّلًا من أن يحصل تعداد

عام وإقرارًا بالخطايا، تصحبه المغفرة والمناولة المقدّسة. وفي الكنائس الأخرى، يبقى الاعتراف الفرديّ الشكل التّموذجيّ للتّوبة، إذ يكتمل عبّر تعابير شائعة عن التّوبة في الليتورجيا. وتوفّر الاحتفالات الجماعيّة بسرّ التّوبة، في الكنيسة الكاثوليكيّة، إمكانيّة الاعتراف على انفراد، ولو أنّه، في حال الضّرورة الملحّة، يُمكن إعطاء المغفرة العامّة من دون اعتراف على انفراد.

٢. مسحة المرضى

(التطوّر في التاريخ)

٢٨- تُعدّ ممارسة الصّلاة من أجل المرضى والدّهن بالزّيّت المبارك جانبًا أساسيًا من جوانب الخدمة المسيحيّة تجاه المرضى وتعتبرها كنائسنا سرًّا من الأسرار. وقد أظهر يسوع في خدمته عنايةً ورأفةً خاصّتين بالمرضى. أمّا عجائبه فهي بخاصّة أعمال شفاء، وكانت تُمنح بشكل مُتجرّد. ويوضح أحد أمثاله الأكثر قوّة، مثل السّامريّ الصّالح، عمل الرّحمة تجاه رجل مُصاب بجروح بليغة. كما كلّف الاثنيّ عشر أن يدهنوا المرضى بالزّيّت ليشفوهم (متّى ٦، ١٣). إنّ الإيمان بقوّة الصّلاة من أجل المرضى جليّ في مجمل العهد الجديد، كما أنّ تعليم رسالة يعقوب يُقدّم رؤية واضحة تمامًا لممارسة هذا السرّ عند المسيحيّين الأوائل: «هل فيكم مريض؟ فليدعُ شيوخ الكنيسة، وليصلّوا عليه بعد أن يمسحوه بالزّيّت باسم الرّب. إنّ صلاة الإيمان تُخلّص المريض، والرّب يُعافيه. وإذا كان قد ارتكب بعض الخطايا عُفرت له» (يعقوب ٥: ١٤ - ١٥).

(ممارسة حاليّة في الكنائس المختلفة)

٢٩- وعلى مرّ القرون، ولا سيّما في التّقاليد اللّاتينيّة والأرمنيّة والسّريانيّة الأرثوذكسيّة المملنكاريّة، عُدّت المسحةُ مسحةً أخيرة، وتحضيراً لسرّ الموت. أمّا في السّنوات الأخيرة، فقد استعادت الكنيسة الكاثوليكيّة اللّاتينيّة والكنيسة المملنكاريّة الأرثوذكسيّة السّريانيّة ممارسة المسحة للأشخاص المرضى، ولو أنّهم لن يموتوا قريباً. تُصحب المسحة بقراءات الكتب المقدّسة والصّلوات ووضع الأيدي. ويُحتفل بالسرّ في أغلب الأحيان معاً في الرّعايا ودور المسنّين وأماكن أخرى.

٣٠- وفي التّقليد الأرمنيّ، فُهِمت صلاة قانون المرضى في علاقة مع الدّهن في التّنشئة المسيحيّة لتلبية هذه الحاجة، على الرّغم من أنّ هذا الطّقس لم يكن يُمارس بانتظام كما كان في القرن الخامس عشر. وفي التّقليد القبطيّ الأرثوذكسيّ، يُحتفل بمسحة المرضى أيضاً بشكل جماعيّ في يوم الجمعة الأخير من الصّوم الكبير قبل أسبوع الآلام.

٣. أسرار الخدمة والالتزام

(أ) الزّواج

٣١- يُعدّ الزّواج والأسرة من بين الخيوط الأكثر قيمة في الحياة البشريّة. وتُعدّ الأسرة عنصراً أساسياً للجماعة البشريّة والكنيسة. ومع أنّ الزّواج أخذ أشكالاً مختلفة في مسيرة التاريخ وفي ثقافات مختلفة، إلّا أنّه يبقى نموذجاً شائعاً في الثقافات الإنسانيّة كلّها حول العالم. لذلك، إنّ الكنيسة في رسالتها، كعلامة وأداة خلاص عالمي

للإنسانية، تعتبر، منذ البداية، أنّ الزواج هو عهد حبّ وتخلّ لحبّ المسيح لكنيسته. ومن ثمّ وضعت الكنيسة الزواج تحت حمايتها الخاصّة وبركتها.

٣٢- تتفق جميع كنائسنا على أنّ الزواج المسيحيّ سرّ، وهو يُعرف في بعض التقاليد بسرّ الإكليل. نحن نقبل المصادر الكتابيّة والآبائيّة عينها كأساس لقناعتنا بأنّ سرّ الزواج مؤسّسة إلهيّة. وتقدّم روايات العهد القديم الزواج والأبوة/الأمومة على أنّهما هبة من الله حتّى «يُصبحوا جسداً واحداً» (تك ٢، ٢٤)، ويستجيبوا لوصيّة الله: «أتموا واكثروا» (غلا ١، ٢٨). وتلفت تعاليم يسوع وبولس الرّسول في العهد الجديد النّظر إلى أنّ رباط الزواج غير قابل للفسخ، إذ هو متجدّد في الحبّ المتبادل بين الرّجل والمرأة، لأنّه مشاركة سرّيّة في سرّ المسيح وفي كنيسته (راجع: متى ١٩، ٦؛ مر ١٠، ٩؛ أفسس ٥، ٣٢). إنّ الزواج، بطبيعته، القائم على الحبّ المتبادل بين الرّوجين وعلى الاهتمام بأولادهما، قد رفعه الرّب يسوع نفسه إلى كرامة السرّ.

٣٣- تُفسّر الكنيسة الزواج من النّاحية اللاهوتيّة على أنّه عهدٌ يُعطي من خلاله الرّوجان نفسيهما الواحد إلى الآخر. ويبدأ الزواج في قلب الكنيسة ويستمدّ حياته منها. فالله نفسه، من خلال الكنيسة، يُوحّد الرّوجين. وهكذا أضحيّ الواقع الاجتماعيّ للزواج صورة لوعده الله الذي لا يفنى لخليقته، واستعارة لاهوتيّة للعهد بين المسيح والإنسانية. كما يُفهم العهد بين الرّجل والمرأة في الزواج أيضاً على أنّه إشارة إلى العهد بين المسيح والكنيسة.

(التطوُّر في التاريخ)

٣٤- اعتبرت الكنيسة الأولى الزواج واقعا لاهوتيا واجتماعيا في آن واحد، الذي عبّر عنه وفقاً للعادات الإقليمية والقانون المدني. ومع انتشار الإنجيل في مناطق وثقافات مختلفة، طوّرت الكنائس، في أطرها الأرمنية والقبطية والأثيوبية والهندية والسريانية واللاتينية أنظمتها وطقوسها الخاصة بها في الزواج. ومع ذلك، بقي مفهوم الزواج والاهتمام الرّاعوي للكنيسة هو نفسه في التقاليد كلّها. إذا كان فهم طبيعة سرّ الزواج فهماً شاملاً، فقد تطوّرت طقوس الزواج وحفلاته حول عناصر مميّزة، مع التّركيز على جوانب مختلفة.

٣٥- اتّبعَت الكنيسة اللّاتينية في الإمبراطورية الرومانية القانون الروماني، الذي يُمثّل فيه الزواج فعلَ إرادةٍ حرّ للزوجين. ومع مرور الزمن، فهم الزواج في ضوء الوحي ووضعت الكنيسة الوعدَيْن المتبادليْن بين الزوجين تحت حمايتها وبركتها. إنّ الفعلَ الحرّ والشخصي الذي من خلاله يهبّ الزوجان نفسيهما الواحد للآخر ويتقبّلان نفسيهما في وعود الزواج، هذا الفعل بقي العلامة السريّة للزواج. بيد أنّ هذه الوعود كانت تحصل في إطار كنسيّ، الأمر الذي يُعبّر عن واقع أنّ الزواج ليس مجرد مسألة خاصة بالزوجين، بل هو مظهر من مظاهر حبّ الله وأمانته. وهكذا يشترك العروس والعريس في عهد الله مع الإنسانية، لأنّ الله نفسه هو الذي يوحدّهما. وهكذا توصّلنا إلى اعتبار أنّ الزوجين هما خادما السّرّ الواحد من أجل الآخر، في تبادل حرّ لأمانيهما.

٣٦- أمّا في كنائس المقاطعات الشّرقية للإمبراطورية الرومانية وخارجها، فكان التطوُّر مختلفاً. فقد اتّبع المسيحيون، كما في الغرب، على مدى ثلاثة قرون، عادات

عصرهم، من دون دعوة كاهن أو استخدام صلوات خاصة أو طقسٍ مسيحيٍّ خاصٍّ. بيد أنّ مجيء المسيح والوحي البيبليّ غيرًا مفهوم الزواج. فغالبًا ما ظهرت صورة المسيح كعريس يُوحّد الله والإنسانية في عهد كامل في الكتابات المسيحية الأولى. وكانت النتيجة، في نهاية المطاف، الاحتفال بالزواج بوجود شهود مسيحيين، حيث يضطلع الكاهن أو الأسقف بدور الخادم. وفي التقليد الشرقيّ، يُمنح السّرّ بمباركة كاهن أو أسقف.

(الممارسة الحالية في الكنائس المختلفة)

٣٧- يتطلّب سرّ الزواج، في جميع تقاليدنا، الرضى الحرّ للرجل والمرأة، وحضور الشهود وبركة داخل الكنيسة من قبل خادم مرسوم. وتشترط الكنيسة الأرثوذكسية الشرقية والكنيسة الكاثوليكية الشرقية بركة كاهن أو أسقف، بينما تسمح الكنيسة الكاثوليكية للشّماس الإنجيليّ أيضًا بإعطاء البركة، إذ تعتبر أنّ الزوجين نفسيهما يُشرفان على منح السّرّ في اعترافهما الواحد بالآخر. وتقبل الكنيسة الكاثوليكية بالتقليديّين، إذ لا تعتبرهما موضوع انقسام، بل غنى متبادل. ويُعبّر التقليدان عن سرّ محبة الله للبشرية نفسه، وعن عمل نعمته النّاشط في جماعة الكنيسة.

(مسائل رعيّة وعملية)

٣٨- تعي كنائسنا التّحدّيات الرّاعوية التي تُطرح اليوم، سواء أكان في المجتمع العلمانيّ أم في الإطار الدّينيّ. فعلى الرّغم من أنّ وحدة الزواج المسيحيّ وعدم إمكانيتها فسخه هما السّماتان المميّزتان، بيد أنّ الهشاشة الإنسانيّة والخطيئة تُبيّن أنّ بعض الرّيجات قد تضعف وتفشل. لذا، والحالة هذه، طوّرت جميع كنائسنا وسائل لمساعدة الّذين عرفوا هذه المعاناة كي يبقوا ضمن جماعة الكنيسة.

٣٩- تعترف جميع الكنائس بأنواع مختلفة من العوائق القانونية للزواج. في هذا السياق، تتعامل الكنائس بطريقة مختلفة مع إمكانيات البطلان والحل والطلاق، ولكن دومًا ضمن الاهتمام الراعوي بالشفاء والمرافقة الروحية. وتُوفّر الكنائس الأرثوذكسية الشرقية إمكانيّة الطلاق والزواج مرّة ثانية للذين تزوّجوا بواسطة السير، ولا سيّما في حالة الرّني. لا تقبل الكنيسة الكاثوليكية بإمكانية الطلاق، إلا أنّها تعترف بأنّ عنصرًا أساسيًا كان مفقودًا في بعض الرّيجات منذ البداية، وبالتالي يُمكن إعلان بطلانها.

٤٠- تسمح جميع كنائسنا للأرامل بالزواج مرّة أخرى. وقد عمدت الكنائس الأرثوذكسية الشرقية إلى تبسيط شكل طقس الزواج الثّاني أو الثّالث، سواء أكان زواج أرامل أم مُطلّقين، كي يعترفوا بالطّابع الفريد لسيرّ الزواج الأوّل.

٤١- وقد بيّنت العمولة اليوم أنّ رجالًا ونساء يُمكنهم أن يجدوا الحبّ مع شخص من كنيسة أخرى، وهذا الأمر يتطلّب أجوبة راعوية جديدة من الكنائس. لقد بيّنت التجربة أنّه يمكن للاختلافات الطّائفية أن تترك أثرًا إيجابيًا على إيمان الرّوجين، وبالتالي على زواجهما. فإذا جلب الشّريكان تراثهما الكنسيّ إلى الزواج والأسرة، يُمكنهما التّعلّم الواحد من الآخر وتعميق حياتهما المشتركة وإغناؤها، وكذلك حياة جماعتهما المحليّة. تفترض هذه الرّيجات انتباهًا وسندًا راعويّين خاصّين من المسؤولين ومن المؤمنين في الكنائس. ومن ناحية أخرى، لا يُمكننا أن نُقلّل من شأن الصّعوبات التي تسبّبت في انفصال الكنائس الذي لم ينته حلّه حتّى الآن وما برح مرئيًا بشكل مؤلم.

٤٢- تسمح الكنيسة الكاثوليكية بالزواج من أشخاص مُعمّدين آخرين ضمن ظروف معيّنة، وتسعى جاهدة إلى إبرام اتّفاقات مشتركة مع كنائس أخرى فيما يتعلّق بالزواج بين المؤمنين. فقد أبرمت بعض الكنائس الشّرقيّة مثل هذه الاتّفاقيّات الرّاعويّة مع الكنيسة الكاثوليكيّة. وتُصرّ كنائس أخرى على زوج المستقبل الذي ليس في شركة مع كنائسها على الانتساب إليها صراحة. وفي بعض الحالات، يفترض هذا الواقع المعموديّة و/ أو الميرون، ذلك أنّ المعموديّة في الكنائس الأخرى غير مُعترف بها. وتجدر الإشارة إلى أنّ الأطر القانونيّة والاجتماعيّة والثّقافيّة، وبخاصّة في البلدان التي يُشكّل فيها المسيحيّون أقلّيّة، يُمكن أن تؤدّي إلى التّفكير في أنّه يجب على الرّوجين أن ينتميا إلى الكنيسة عينها.

٤٣- وفي الأطر الطائفيّة والأديان المتعدّدة والعلمانيّة اليوم، يرغب بعض المؤمنين في الزّواج من أشخاص غير مسيحيّين. بالنّسبة إلى جميع كنائسنا، لا يمكن أن يكون الزّواج بين المسيحيّين وغير المسيحيّين سرّاً، لأنّ الأسرار لا تُمنح إلّا للمُعّدين. لذا، لا تُشجّع الكنيسة الكاثوليكيّة مثل هذه الرّيجات، على الرّغم من أنّ الكنيسة تُقدّم الصّلوات والدّعم الكنسيّ والرّوحيّ للرّوج المسيحيّ وتنبّت قانونيّة الزّواج. أمّا الكنائس الأرثوذكسيّة الشّرقيّة فلا تعترف مطلقاً بهذه الرّيجات، إذ تعتبرها خارج صلاحية سلّطة الكنيسة.

(المسائل المتبقية للمناقشة)

٤٤- ما من سرّ آخر تتجلّى فيه الوقائع الحاليّة والتّحدّيات الرّاعويّة في الكنيسة كشعب الله أكثر من الزّواج. نحن نعي أنّ الرّيجات بين الطّوائف، من أجل شهادة مسيحيّة مشتركة، تحتاج إلى دعمٍ خاصّ من كنائسهم لتعزيز كمال الأسرة. نوصي

كنائسنا بإجراء دراسة أكثر عمقاً للمسائل الكتابية واللاهوتية والقانونية، وفي ضوء هذه الدراسة، يأخذ تطوير الاتفاقيات الراعوية بعين الاعتبار الممارسة المحلية والوضع الاجتماعي للمسيحيين في المنطقة وأنظمة القانون المدني ومتطلباته.

ب) الرتب الكهنوتية المقدسة

(التطور في التاريخ)

٤٥- لقد ثبت أنّ خدمة الأسقف (*episcopus*) والكاهن (*presbyteros*) والشمامس ترقى إلى العصور الأولى للكنيسة. لقد عدّ الأساقفة خلفاء للرسل، أمّا الكهنة فكانوا يساعدون الأساقفة في خدمتهم وكان بإمكانهم الاحتفال بمعظم الأسرار في غيابهم، في حين أنّ الشمامسة شغلوا وظائف راعوية وليترجية مختلفة. وكان الأساقفة يمنحون الرتب الكهنوتية بوضع الأيدي واستدعاء الروح القدس.

٤٦- وعلى مرّ القرون، عدّت خدمات أخرى أيضاً رتباً مقدسة، ولا سيّما رتب الشمامس الإنجيلي والقارئ والبواب وغيرها. وفي الكنيسة اللاتينية، قبل المجمع الفاتيكاني الثاني، كانت رتب الأساقفة والكهنة والشمامسة الإنجيليين والشمامسة الرسائليين تُعدّ رتباً عليا، بينما عدّت رتب الخادم وطارد الأرواح الشريرة والقارئ والمرّم رتباً ثانوية. وكان المرشّحون للرئاسة الكهنوتية في الرتب العليا يتلقون الرتب الثانوية - غالباً ما كانت تُمنح معاً - قبل أن يُسموا للرتب العليا.

(الممارسة الحالية في الكنائس المختلفة)

٤٧- تتفق كنائسنا على أنّ سرّ الكهنوت قائم في كنائسنا كلها. وتعتبر جميع كنائسنا أنّ الخدمة الثلاثية للأساقفة والكهنة والشمامسة أساسية. ولا تزال الرتب

الثانوية قائمة في الكنائس الأرثوذكسية الشرقية والكنائس الكاثوليكية الشرقية، على الرغم من أنّ الممارسة الحالية تختلف بحسب الكنائس. وبعد المجمع الفاتيكاني الثاني، ألغت الكنيسة اللاتينية الرتب الثانوية. في تلك الفترة، أعادت الكنيسة اللاتينية رتبة الشمامسة كرتبة دائمة، مع الحفاظ على تقليد الشمامسة الانتقالية لمن سيُرسَمون كهنة.

٤٨- في الكنائس الأرثوذكسية الشرقية، يجب على الأساقفة أن يكونوا عازبين وأن يندروا الندور الرهبانية، بينما يستطيع الشمامسة والكهنة أن يتزوجوا قبل رسامتهم. وفي الكنائس الكاثوليكية الشرقية، يجب على الأساقفة أن يكونوا عازبين أيضاً، ولكنهم غير مُلزمين بالضرورة بالندور الرهبانية؛ وفي معظم هذه الكنائس، يستطيع الكهنة والشمامسة أن يتزوجوا قبل رسامتهم. أمّا في الكنيسة الكاثوليكية اللاتينية، فيجب على الأساقفة ألا يتزوجوا، ولكن من دون أن يندروا الندور الرهبانية بالضرورة؛ ووفقاً للنظام الكنسي، تُخصّص رتبة الكهنة إلى العازبين فحسب، على الرغم من أنّه يُمكن أن يكون هناك استثناءات. يستطيع الشمامسة الدائمون أن يتزوجوا. وفي جميع كنائسنا، يُحظرّ زواج الكهنة أو الشمامسة أو زواجهم مرّة ثانية بعد رسامتهم.

ثالثاً: استنتاجات راعوية

٤٩- بعد أن أجرينا هذه الدراسة عن الأسرار وحياة الأسرار في الكنيسة، بوسع اللجنة الدولية المشتركة للحوار اللاهوتي بين الكنيسة الكاثوليكية والكنائس

الأرثوذكسيّة الشّرقيّة أن تُؤكّد وجود إجماع واسع بين كنائسنا، سواء أكان في اللاهوت أم في ممارسة الأسرار، على الرّغم من الاختلافات اللاهوتيّة التي تفترض دراسة أكثر عمقًا، ولا سيّما فيما يتعلّق بخادم المعموديّة أو الرّواج. هذا الإجماع الواسع على الأسرار يُضاف إلى نقاط الاتّفاق العديدة النّاجمة عن الوثائق السّابقة لهذا الحوار: **طبيعة دستور الكنيسة ورسالتها (٢٠٠٩) وممارسة الشّركة في حياة الكنيسة الأولى (٢٠١٥).**

٥٠- تشعر اللّجنة الدّوليّة المشتركة الآن بأنّها قادرة على أن توصي كنائسنا بدراسة إمكانيّات تعاون راعويّ أوّثق، أوّلاً في مجال غير مجال الأسرار، ولكن أيضًا في مجال الأسرار. وفضلاً عن التقارب اللاهوتيّ الذي لاحظناه، إنّ دراسة كهذه يُمكنها أن تأخذ أيضًا بعين الاعتبار الإعلانات المشتركة التي وقّعها بابا روما وسائر رؤساء الكنائس الأرثوذكسيّة الشّرقيّة، إلى جانب الاتّفاقات الرّاعويّة القائمة بين الكنيسة الكاثوليكيّة وبعض الكنائس الأرثوذكسيّة الشّرقيّة. ويستحقّ التّاريخ الطّويل والخبرة المشتركة لمؤمني كنائسنا أن يؤخذوا بعين الاعتبار، هؤلاء الذين عاشوا معًا بشكل وثيق وواجهوا معًا أفرًا ومصاعب على مرّ القرون.

(إعلانات مشتركة لرؤساء الكنائس)

٥١- إنّ الإعلانات المشتركة التي وقّعها بابا روما ورؤساء الكنائس الأرثوذكسيّة الشّرقيّة [البابا بولس السّادس والكاثوليكوس فاسكن الأوّل (١٩٧٠)؛ البابا بولس السّادس والبطريك أغناطيوس يعقوب الثّالث (١٩٧٠)؛ البابا بولس السّادس والبابا شنودة الثّالث (١٩٧٣)؛ البابا يوحنا بولس الثّاني والبطريك أغناطيوس زكا الأوّل عواص (١٩٨٤)؛ البابا يوحنا بولس الثّاني والكاثوليكوس مار باسيليوس ما توما

ماتْيوس الأوّل (١٩٩٠)؛ البابا يوحنا بولس الثاني والكاثوليكوس كاراكين الأوّل سركيسيان (١٩٩٦)؛ البابا يوحنا بولس الثاني والكاثوليكوس آرام الأوّل كيشيشيان (١٩٩٧)؛ البابا يوحنا بولس الثاني والكاثوليكوس كاراكين الثاني نرسيسيان (٢٠٠٠)، تشتمل بالفعل على عدد من التّوصيات من أجل تعاون وثيق في المجالات التّربويّة والاجتماعيّة والرّاعويّة منها: دراسات لاهوتيّة مشتركة حول التّقليد المسيحيّ وآباء الكنيسة والليّترجيا؛ وتعاون في تنشئة الكهنة والتّعليم اللاهوتيّ والتّعليم الدّينيّ؛ وتبادل المدرّسين والطّالّاب؛ وتقاسم أماكن العمل؛ وخدمة مشتركة للمصالحة والعدالة والسّلام بهدف تعزيز التّفاهم المتبادل والشّهادة المشتركة للإنجيل في عالم اليوم.

٥٢- ما برح الإعلان المشترك الذي وقّعه البابا يوحنا بولس الثاني والبطريرك السّريانيّ الأرثوذكسيّ مار أغناطيوس زكّا الأوّل عواص في العام ١٩٨٤ النّصّ الوحيد الذي يسمح بتقاسم الأسرار بين الكنيسة الكاثوليكيّة والكنيسة الأرثوذكسيّة الشّرقية في أسرار التّوبة والإفخارستيّا ومسحة المرضى. ويؤكّد الإعلان المشترك: «إنّ هويّة الإيمان هذه، ولو أنّها غير مكتملة، تسمح لنا بتصوّر تعاون راعويّ في الحالات التي تنشأ غالبًا في أيّامنا، إمّا بسبب تشتّت مؤمنينا في جميع أنحاء العالم، وإمّا بسبب الظروف الرّاعويّة الموقّنة التي أوجدتها مصاعب العصر». فحينما يستحيل «مادّيًا أو أخلاقيًا» على المؤمنين الوصول إلى كاهن من كنيستهم، «يسمح لهم البابا والبطريرك بأن يطلبوا من الرّعاة المعتمدين في الكنيسة الأخرى المساعدة في أسرار التّوبة والإفخارستيّا ومسحة المرضى، بحسب احتياجاتهم».

٥٣- من المهم أن نُشير إلى المبدئين اللاهوتيين الكامنين وراء هذا القرار: فمن جهة، «هويتنا الإيمانية، ولو أنّها ناقصة»، ومن جهة أخرى، الضرورة الراعوية بسبب «تشبث مؤمنينا في جميع أنحاء العالم»، «والظروف الراعوية الموقّنة التي أوجدتها مصاعب هذه الأزمنة». ينبغي لهذين المبدئين أن يقودا كنائسنا إلى دراسة إمكانية تعميق التعاون الراعوي. وقد أظهرت أعمال اللجنة المشتركة العالمية المدى الواسع لهوية إيماننا، ولو أنّها غير مكتملة. وفي الوقت عينه، تواجه جميع الكنائس حاجات راعوية جديدة نتيجة تطورات الهجرة والعلمنة، الأمر الذي يتطلب منهم وحدة أكبر للاهتمام بفعالية مع مؤمنهم كي يكونوا شهودًا صادقين للإنجيل. أليست هذه دعوة قوية لتوسيع التعاون الراعوي، حتى في مجال الأسرار، في حالات لا تضرّ بأيّ مبدأ عقائديّ.

٥٤- وفي إطار الحوارات الثنائية الجارية، على سبيل المثال، بين الكنيسة الكاثوليكية وكنيسة المانكار للسريان الأرثوذكس وكنيسة المانكار السريانية الأرثوذكسية للعبادة، اعتمد عدد من الاتفاقات الراعوية، أو ما برحت في طور الإعداد، مع واحدة من هذه الكنائس الأرثوذكسية أو مع الاثننتين على النحو الآتي: تقاسم الأماكن المقدسة والمقابر، التعاون بين المعاهد اللاهوتية والتنشئة ضمن تبادل المدرسين والطلاب، التعاون الراعوي في مجالات الكتاب المقدس والنصوص الليتورجية والقراءة المشتركة لتاريخ الكنيسة في الهند، إنشاء مراكز للاستشارة المسكونية، والمكاتب المسكونية، والتوجه المسكوني للشباب، والشهادة المشتركة في المسائل الاجتماعية الملحة...

٥٥- لقد اعتمد تفاهم بين الكنيسة الكاثوليكية وكنيسة المانكار الأرثوذكسية السريانية على تقاسم سرّ مسحة المرضى، في إطار الحوار الرسميّ، ووافقت عليه

السلطات الكنسيّة سنة ٢٠١٠. وبين الكنيسة الكاثوليكيّة وكنيسة المانكار السريانيّة الأرثوذكسيّة لليعاقة، أُبرم اتفاق سنة ١٩٩٤ على الزواج بين الطوائف. كما درست الكنيسة الكاثوليكيّة وكنيسة المانكار الأرثوذكسيّة السريانيّة إعلاناً مشتركاً عن الرّيجات بين الطوائف، بيد أنّه لم ينل بعد موافقة السلطات الكنسيّة.

٥٦- هذه المشاريع العديدة والمتنوّعة للدراسة المشتركة والتّعاون الرّاعويّ، من شأنها أن تُشكّل عاملاً فعّالاً في تطوير وعي مسكوبيّ أوسع بين رجال الدّين والمؤمنين، إذ بوسعها أن تكون مصدر إلهام لنماذج أخرى من أجل علاقات أوثق بين الكنيسة الكاثوليكيّة والكنائس الأرثوذكسيّة الشّرقية.

(اختبار مشترك لكنائسنا)

٥٧- إنّ المساحة الواسعة لوحدتنا في الإيمان، التي كشفتها اللّجنة المشتركة العالميّة والاتّفاقيّات الرّاعويّة القائمة بالفعل، تؤكّدها خبرة كنائسنا التي عاشت معاً بشكل وثيق، وعرفت أفرآحاً وتحديات وآلاماً على مدى قرون طويلة. وينطبق هذا الأمر بشكل خاصّ على مناطق الشّرق الأوسط وعلى مناطق أخرى، حيث عاش مؤمنون من مختلف الكنائس معاً بتعاون وثيق «كقطيع صغير» بين مؤمني دياناات أخرى. هذا الاختبار بالنّسبة إليهم هو بناء حقيقيّ للشّركة (*koinōnía*)، وشعور مشترك بالانتماء إلى جسد المسيح. يُطبّق مفهوم «المسكونيّة الاستشهاديّة» حالياً بشكل صحيح على أقصى جوانبه لهذا الواقع المعيش، الذي تتلاشى فيه الاختلافات بين الكنائس في الاختبار المشترك للاضطهاد والشّهادة للمسيح.

٥٨- من الممكن تعميق المعنى اللاهوتيّ لهذا الاختبار المشترك إذا أخذت كنائسنا بعين الاعتبار حقيقة أنّ جميع المؤمنين، من خلال المعموديّة، قد نالوا عطية الرّوح

القدس، وبالتالي يملكون معي فطرياً يسمح لهم بالإقرار بالحقيقة. إنّ اللاهوتيين ومسؤولي الكنيسة مدعوون إلى تفسير هذا الاختبار وتقديره، وإلى الاستلهام منه من أجل تعاون راعويّ متزايد في ميادين متنوّعة.

(توصيات)

٥٩- عرّض أعضاء اللّجنة المشتركة العالميّة للحوار اللاهوتيّ على كنائسهم التّوصيات الآتية:

(أ) أن تدرس الكنيسة الكاثوليكيّة والكنائس الأرثوذكسيّة الشّرقية إمكانيّة تبني مبادئ الاتفاق الرّاعويّ الذي وقّعه البابا يوحنا بولس الثّاني والبطيريك زكّا الأوّل عواص، على الأقلّ ضمن ظروف معيّنة ومحدّدة، والذي يسمح لمؤمني الكنيسة بتلقّي القربان وسرّ التّوبة وسرّ مسحة المرضى من كاهن الكنيسة الأخرى، عندما لا يكون كاهن كنيستهم متفرّغاً، أو في حالة الحاجة الرّوحية الملّحة.

(ب) أن تسعى الكنائس جاهدة إلى تطبيق التّوصيات والاتّفاقيات الواردة في الإعلانات والاتّفاقيات المشتركة عمليّاً، وأن تُكثّف التعاون حيثما أمكن في المجال الرّاعويّ، وأن تُشرك رجال الدّين والمؤمنين في تقاسم الموظّفين والموارد في الأعمال الخيريّة والتّربويّة والرّسالة مع الشّباب والتّعليم المسيحيّ والتنشئة المستمرّة لرجال الدّين والمؤمنين والزّواج بين الطّوائف...

(ج) أن تدقّق الكنائس في إمكانيّة التّأكيد على وجود اتّفاق كافٍ على المسائل اللاهوتيّة ليكون هناك اعتراف متبادل بسرّ المعموديّة بين الكنيسة الكاثوليكيّة وجميع الكنائس الأرثوذكسيّة الشّرقية. إذا كان الاعتراف العامّ ما يزال مستحيلاً، ينبغي للكاثوليك والأرثوذكس أن يبذلوا قصارى جهدهم لعدم اللّجوء إلى معموديّة ثانية

في حال الزواج بين الطوائف أو حينما يرغب أحد أعضاء الكنيسة في الانضمام إلى كنيسة أخرى.

د) أن تُنشئ الكنائس لجائناً مشتركة على المستوى المحلي، إذا أمكن، لدراسة فرص التوصيات وشروط وضعها حيّز التنفيذ، مع مراعاة الظروف المحليّة دوماً. وبوسع اللجان المحليّة أن تُساعد بشكل كبير على تعزيز تقبّل عمل لجنتنا. وبوسعها أيضاً، فضلاً عن ذلك، أن تُسهّم في توضيح المواقف التي تُعطي انطباعاً تبشيريّاً.

٦٠- نشكر الله ومُجده على هذه السنوات المتنوعة، إذ تمكّنا، بقوة الصلّاة، من مناقشة الأسرار، الأمر الذي قادنا إلى تأكيد هذا الإيمان المشترك وإلى تحديد المسائل التي نفترض دراسة ونقاشاً أكثر عمقاً. سوف تستمرّ اللجنة المشتركة في دراسة المسائل اللاهوتيّة والقانونيّة والراعويّة التي ظهرت إبان المراحل الثلاث لحوارنا. وسوف نبدأ مرحلة جديدة يكون موضوعها الرّئيسيّ دور العذراء مريم في تعليم الكنيسة وحياتها.

٦١- نتمنّى لرؤساء كنائسنا الصّحّة الجيّدة ونؤكّد لهم امتناننا لجهودهم. كما نحثّ كنائسنا على وضع هذه التوصيات الرّاعويّة التي صغناها حيّز التنفيذ، كي يساعدنا الرّوح القدس، المبدأ الإلهيّ للوحدة في الثالوث الأقدس، على حلّ خلافاتنا، التي لم يُبتّ فيها بعد.

الأسقف كيرلس

الأسقف المساعد لأبرشيّة الأقباط

لوس أنجلوس

رئيس

الكاردينال كورت كوخ

رئيس الدائرة من أجل

تعزيز وحدة المسيحيّين الأرثوذكس

رئيس